جامعة الملك خالد
KING KHALID UNIVERSITY

مجلة جامعة الملك خالد للدراسات التاريخية والحضارية

مجلة علمية محكمة فصلية تعنى بالدراسات التاريخية والحضارية

المجلد السادس- العدد الأول
يناير 2025م

بسم الله الرحمن الرحيم

الرقم المعياري الموحد

P-ISSN 1658-872X

E-ISSN 1658-8568

رقم الإيداع

1442/3597

هيئة التحرير

رئيس التحرير

أ.د. أحمد بن يحيى آل فائع

مدير التحرير

أ.د. عبدالعزيز محمد رمضان

أعضاء هيئة التحرير

أ.د. مصطفى محمد قنديل زايد

أ.د. نايف بن علي السنيد الشراري

د. علي عوض آل قطب عسيري

د. نعمة حسن محمد البكر

الهيئة الاستشارية

معالي أ.د. إسماعيل بن محمد البشري

جامعة الجوف سابقاً

معالي أ.د. سعيد بن عمر آل عمر

جامعة الحدود الشمالية سابقاً

أ.د. عبداللطيف بن عبدالله بن دهيش

جامعة أم القرى

أ.د. عبدالعزيز بن صالح الهلابي

جامعة الملك سعود

أ.د. سليمان بن عبدالرحمن الذييب

جامعة الملك سعود

أ.د. مسفر بن سعد الخثعمي

جامعة بيشة

أ.د. عبدالعزيز بن راشد السنيدي

جامعة القصيم

أ.د. غيثان بن علي جريس

جامعة الملك خالد

أ. د. محمد بن منصور حاوي

جامعة الملك خالد

المراسلات:

تُوجه المراسلات لرئيس تحرير المجلة على العنوان الآتي: المملكة العربية السعودية، أبها، جامعة الملك خالد، كرسي الملك خالد للبحث العلمي. فاكس: 072289241 , هاتف 072289241, بريد إلكتروني jhc@kku.edu.sa

شروط النشر:

تُرسل البحوث عبر الموقع الإلكتروني للمجلة :

/https://iitcsvc.kku.edu.sa/KKU_ScientificJournals

وفق الشروط الاتية :-

- عدم تعارض المادة العلمية مع أحكام الشريعة الإسلامية وأنظمة الدولة.
- تقبل المجلة البحوث والدراسات في مختلف التخصصات التاريخية والحضارية.
- يراعى في البحث الأصالة والجدة والجودة في الفكرة والأسلوب والمنهج والتوثيق العلمي والخلو من الأخطاء العلمية واللغوية.
- أن تتضمن ورقة الغلاف باللغتين العربية والإنجليزية: عنوان البحث، واسم الباحث، ولقبه العلمي، وتخصصه، وبريده الإلكتروني، فضلاً عن ملخص البحث (بما لا يزيد عن 200 كلمة) وكلماته المفتاحية باللغتين العربية والإنجليزية.
- يُرسل البحث باللغة العربية أو باللغة الإنجليزية عبر موقع المجلة في نسخة word (A4)، على ألا تتضمن أية بيانات دالة على هُوية الباحث، وألا تزيد صفحات البحث عن (50) ورقة تشمل الجداول والمراجع والملاحق.
- كتابة البحث باستخدام نظام متوافق مع أنظمة الحاسب الآلي، على أن يكون نوع الخط عربيًا تقليديًا Traditional Arabic والبنط (18) للعناوين الرئيسة للبحث، و (16) لمتن البحث، و(14) للهوامش.
- أن تكون طريقة التوثيق في نهاية البحث وفق منهج البحث العلمي المتبع، على أن يتم التعريف بالمصدر كاملاً عند ذكره أول مرة، وغير مطلوب إلحاق قائمة المصادر والمراجع في نهاية البحث.
- يسمح بالتوثيق من المواقع الإلكترونية وفق الشروط والطرائق المنظمة لذلك.
- عند قبول البحث للنشر في المجلة يُزود الباحث بخطاب رسمي مختوم بالموافقة على النشر.
- تُنشر نسخة الكترونية من أعداد المجلة على موقعها الإلكتروني.

- يتم ترتيب محتويات المجلة وفقًا لاعتبارات فنية.
- كل ما يُنشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه، ولا يُعد تمثيلاً لوجهة نظر المجلة.

محتويات العدد

تصدير العدد

يطيب لهيئة تحرير "مجلة جامعة الملك خالد للدراسات التاريخية والحضارية" أن تقدم للقارئ الكريم عددها السابع عشر (العدد الأول من المجلد السادس/ يناير 2025م) الذي يحوي بين جنباته ثلاثة بحوث تتسم بالعمق والجِدّة. ويُجسد هذا العدد عمل هيئة التحرير المستمر والدؤوب لتحقيق الرؤية والرسالة اللتين تطمح إلى تحقيقهما المجلة بهدف الارتقاء بها إلى مصاف المجلات العلمية المتميزة والمعتمدة في أفضل التصنيفات.

والتزامًا من هيئة التحرير للباحث والقارئ الكريم بمبدأ العمل المستمر في إصدار الأعداد؛ فإن العملَ جارٍ على تحكيم بحوث العدد الثاني من المجلد السادس (ابريل 2025م) ومراجعتها تمهيدًا للنشر في الموعد المحدد.

وأخيرًا؛ تسعدُ هيئة تحرير المجلة بتلقي الملحوظات والمقترحات التي سوف تُسهم في تحسين إخراج المجلة ومحتواها، وتصل بها إلى ما ترتجيه من مكانة علمية عالمية مرموقة، وذلك على بريدها الإلكتروني: jhc@kku.edu.sa

رئيس التحرير

أ.د. أحمد بن يحيى آل فائع

جدول المحتويات

عنوان البحث	الصفحة
الإسلام والمسلمون في روايات الرحالة الأوربيين في العصور الوسطى (الرحالة بورشارد أنموذجًا) د. سعداء بشير علي العنزي	23-2
التوطين الزراعي في عهد الملك عبدالعزيز (1348–1330هـ/ 1912–1930م) د.ليلى عبدالكريم عبدالله	64-24
الموقف الفلسطيني من أزمة الاحتلال العراقي للكويت 1990–1991م د.علي عبدالرحمن الكندري؛ فاطمة ناصر العسيري.....	98-65

الإسلام والمسلمون في روايات الرحالة الأوربيين في العصور الوسطى (الرحالة بورشارد أنموذجًا)

د. سعداء بشير علي العنزي•

جامعة حائل –السعودية

مستخلص:

يُعد أدب الرحلات من العلوم المساعدة لدراسة علم التاريخ، وقد كانت الرحلة الأوربية إلى الشرق العربيّ من الظواهر الرئيسة في العصور الوسطى، ونشطت خصوصًا في فترة الحروب الصليبية، وتعد رحلة بورشارد بين عامي (673 - 684هـ/ 1275- 1285م) من أهمّ هذه الرحلات جميعًا.

وتهدف هذه الدراسة إلى تتبع المعلومات التي أوردها بورشارد عن الإسلام والمسلمين في رحلته، والكشف عنها وتحليلها، وتبيان مدى موضوعيته وإنصافه، ودوافعه في الكتابة عن المسلمين، واتبعت هذه الدراسة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي.

وخلصت هذه الدراسة إلى أن بورشارد قد تناول عدة جوانب عن المسلمين: عقيدتهم، وجزءًا من حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية، وكذلك علاقتهم بالنصارى الشرقيين، واتصف بورشارد في كثير من المعلومات التي دوَّنها بالدقة والموضوعية؛ دون أن يتحرَّر تحرُّرًا كاملًا من الروح الصليبية التي تجلَّت في تحريض الغربيين ودعوتهم دعوة مباشرة وغير مباشرة للقدوم إلى الشرق، واسترداد الأراضي المقدَّسة من المسلمين.

الكلمات المفتاحية: الرحّالة الأوربيون، الإسلام والمسلمون، العصور الوسطى، الحروب الصليبية.

Islam and Muslims in the Accounts of European Travelers in the Middle Ages: Burchard as a Model

Saada B.A. Alanazi
University of Hail – Saudi Arabia
s.alenaze@uoh.edu.sa

Abstract:

Travel literature is considered one of the auxiliary sciences for the study of History Science. European journeys to the Arab Orient were one the principal phenomena in the Middle Ages. They were active during the Crusades. The journey of Burchard (between 673-684H./1275-1285) was one of the most important of all these journeys.

This study aims to trace the information stated by Burchard about Islam and Muslims in his journey and it reveals and analyses such information, in addition to indicating the extent of his objectivity, fairness and motivations in writing about Muslims. This study adopts the historical, descriptive and analytical approach.

The study concludes that Burchard has addressed several aspects about Muslims, their creed, and part of their social, economic and military life, in addition to their relationship with Orthodox Cristians. Burchard was characterized with accuracy and objectivity in much of the information he recorded, without freeing himself completely from the Crusade spirit that was manifested in his inciting the Westerners calling them directly and indirectly to come to the East and recover the Holy Lands from the Muslims.

Keywords: European travelers – Islam and Muslims – The Middle Ages – The Crusades

المقدمة:

أصبح أدب الرحلات من العلوم المساعدة لدراسة التاريخ؛ فهو يلقي الضوء على جوانب لم تتطرَّق إليها المصادر التاريخية التقليدية، خاصةً الجوانب الحضارية[1]، فالرحالة يدوّنون في رحلاتهم مشاهداتهم وآراءهم عن البلاد التي زاروها، ويقدِّمون وصفًا لطبيعتها الجغرافية، وروايات عن سكانها وعاداتهم وتقاليدهم وعقائدهم، وربما تتضمَّن رحلاتهم التي دوَّنوها معلومات عن أوضاعها السياسية والاقتصادية.

وقد شهدت العصور الوسطى، التي حددَّها المؤرخون في الفترة الزمنية ما بين القرن الرابع الميلادي إلى القرن الخامس عشر[2]، أحداثًا جسامًا، أهمها: ظهور الإسلام في جزيرة العرب في القرن السابع الميلاديّ، ثم ظهور الحروب الصليبية، وهي "حركة استعمارية ولدت في غرب أوربا واتَّخذت شكل هجوم مسلح على بلاد المسلمين، وبخاصة في الشرق الأدنى الإسلامي"[3]، وقد استمرت هذه الحروب الصليبية مدة قرنين من الزمان (1095- 1291م)[4]. وشهدت تدفُّق أعداد كبيرة من الرحالة والحجاج الأوربيين إلى الأرض المقدسة في فلسطين[5].

وتستمد هذه الدراسة أهميتها من أنها تلقي الضوء على واحدة من أهمِّ الرحلات الأوربية في العصور الوسطى، خاصة في فترة أواخر الحروب الصليبية، وهي رحلة الرحَّالة بورشارد، وتتناول ما تحتويه هذه الرحلة من معلومات عن الإسلام والمسلمين من وجهة النظر الأوربية في تلك الفترة، مع تحليل وجهة النظر هذه ونقدها. كما تكمن الأهمية أيضًا في عدم العثور – وفق البحث والاطلاع – على دراسة منفردة عمّا تحتويه هذه الرحلة من معلومات عن الإسلام والمسلمين.

وتسعى الدراسة إلى الإجابة على التساؤلات الآتية:

- ما المعلومات التي أوردها بورشارد عن الإسلام والمسلمين فيما دوّنه في رحلته؟
- ما الجانب أو الجوانب التي تناولتها رحلة بورشارد عن المسلمين؟
- هل كان بورشارد منصفًا وموضوعيًّا في المعلومات التي أوردها عن الإسلام والمسلمين في رحلته؟
- ما دوافع بورشارد من تطرُّقه إلى الحديث عن المسلمين في رحلته؟

وبناء على ذلك، تهدف الدراسة إلى:

- البحث عمَّا دوَّنه من معلومات خاصة عن الإسلام والمسلمين في رحلة بورشارد.
- التعرّض بالنقد والتحليل لما أورده بورشارد من كتابات عن الإسلام والمسلمين.
- تقصّي دوافع بورشارد في كتابته عن المسلمين في تلك الفترة الزمنية.

هذا وقد اقتضت طبيعة الدراسة اتباع المنهج التاريخيّ الوصفيّ التحليليّ، بعد جمع الروايات التي تحدَّث فيها بورشارد عن الإسلام والمسلمين. وقد اشتملت الدراسة على مقدمة تضمنت: أهمية الموضوع، وتساؤلات الدراسة، وأهدافها، والدراسات السابقة، وتلا ذلك عدَّة عناصر؛ هي:

- الأوضاع السياسية في بلاد الشام في النصف الثاني من القرن السابع الهجريّ/ القرن الثالث عشر الميلادي.
- الرحلة الأوربية إلى الأراضي المقدسة في العصور الوسطى.
- الرحالة بورشارد.
- القرآن الكريم ومعتقدات المسلمين من خلال رواية بورشارد.
- الفرق الدينية.
- الجوانب الاجتماعية.
- صفات المسلمين وأخلاقهم.
- العلاقة بين المسلمين وأهل الذمة من النصارى الشرقيين.
- محاولات إثارة الغرب الأوربي ضدَّ المسلمين.
- الجوانب العسكرية عند المسلمين.
- الجوانب الاقتصادية عند المسلمين.

وثمة دراسات سابقة تناولت طرفًا من الموضوع، مثل دراسة: رائد مصطفى عبد الرحيم، وسائل الدعاية الصليبية (صورة المسلمين في أدب الرحلات الأوربية والروسية إلى الأماكن المقدسة في العصور الوسطى أنموذجًا). وهي تتحدّث عن وسائل الدعاية الصليبية، وتركّز على صورة المسلمين في أدب الرحلات الأوربية والروسية إلى الأماكن المقدسة، والكشف عن دور هذه الصورة في الترويج للحروب الصليبية، وكانت رحلة بورشارد من بين الرحلات التي تحدثت عنها هذه الدراسة. وكذلك دراسة محمد مؤنس عوض، "رحلتا ابن جبير وبوركهارد من جبل صهيون في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية. دراسة مقارنة"، تحدثت عن الرحلتين وعقدت مقارنة بينهما كمصدرين لتاريخ بلاد الشام، وقد تناولت هذه الدراسة جانبًا فقط من الجوانب التي تحدث عنها هذا البحث، وهو جانب العقيدة عند المسلمين. وهناك دراسة ثالثة: أحمد عز العرب أحمد سليمان، "بلاد الشام من خلال كتابات الرحالة الألماني بوركهارد من جبل صهيون"، تناولت عدة مواضيع عن بلاد الشام مثل: مدن الساحل الشامي ومدن الداخل، والمزارات المقدسة في فلسطين، والنواحي الاقتصادية والخريطة المذهبية في بلاد الشام، وصورة المسلمين في بلاد الشام والنقد الذاتي للصليبيين، وقد تشابهت مع هذا البحث في الحديث عن عقيدة المسلمين، وعن النواحي الاقتصادية في بلاد الشام. والملاحظ أن الدراسات السابقة جميعها تناولت طرفًا من المواضيع التي تناولها هذا البحث، ولكن لم تتناول جميع الجوانب التي وردت عند بورشارد عن المسلمين بشكل كامل.

أولاً. الأوضاع السياسية في بلاد الشام في النصف الثاني من القرن السابع الهجريّ/ القرن الثالث عشر الميلاديّ:

يرجّح أن الرحالة بورشارد قدم إلى بلاد الشام ودوَّن رحلته إلى فلسطين في النصف الثاني من القرن السابع الهجريّ/ الثالث عشر الميلاديّ[6]، وقبل الحديث عن رحلته سنلقي الضوء على الأوضاع السياسية لبلاد الشام في تلك الحقبة الزمنية.

مع بداية منتصف القرن السابع ظهرت دولة المماليك الفتية في مصر، وامتدَّ نفوذها إلى بلاد الشام، وقد ورثت أملاك الأيوبيين، وورثت معها مسؤولية الأخطار التي تحيط بالمسلمين، ومسؤولية جهاد الأعداء: المغول، والصليبيين، واستطاعت هذه الدولة أن تثبت أنها أعظم قوة إسلامية في تلك الفترة، ونظر إليها المسلمون نظرة إجلال وتقدير، كما نظر إليها الأعداء المحيطون نظرة خوف واحترام، واستطاع المماليك بكلِّ جدارة وشجاعة وبأس أن يواجهوا الأخطار الخارجية التي تهدِّد العالم الإسلامي؛ فحموا بلاد الشام ومصر من خطر التتار، وطردوا الصليبيين نهائيًّا من بلاد الشام في نهاية هذا القرن[7].

ففي سنة 658هـ/ 1260م انتصر المماليك انتصارًا ساحقًا على المغول الذين اجتاحوا بلاد الشام، في معركة عين جالوت المشهورة[8]، وبانتصارهم هذا أنقذوا بلاد الشام ومصر من خطر المغول، وخلَّصوا أوربا من تهديدهم[9].

وفي جهاد المماليك ضدَّ الصليبيين أكملوا حركة استرداد المدن الإسلامية منهم، التي بدأها منذ زمن طويل الزنكيون في عهد عماد الدين زنكي، الذي بدأها بفتح الرها سنة 539هـ/ 1144م[10]، التي كان الصليبيون قد استولوا عليها في حملتهم الأولى، وأسسوا فيها أولى إماراتهم سنة 493هـ/ 1098م[11].

وجَّه السلطان الظاهر بيبرس المملوكي ضربات للصليبيين، تمكَّن خلالها من استرداد قيسارية ويافا وقلعة عثليث وأرسوف سنة 663هـ/ 1265م، ثم صفد وهونين وتبنين ومدينة الرملة عام 664هـ/ 1266م، وختم جهوده باسترداد أنطاكية سنة 666هـ/ 1268م[12]. ثم جاء من بعده السلطان المنصور قلاوون (689-678هـ/ 1279-1290م)، ليكمل المسيرة ويسقط أخطر القلاع الصليبية، قلعة المرقب، سنة 684هـ/ 1285م، واستردَّ منهم ميناء اللاذقية سنة 686هـ/ 1287م، وطرابلس سنة 689هـ/ 1289م. وأخيرًا تولَّى الأشرف خليل بن قلاوون السلطنة بعد والده، فوجَّه الضربة الختامية للصليبيين باسترداده عكا منهم سنة 690هـ/ 1291م، وتداعت بعدها البقية الباقية من مدن الساحل الشاميِّ التي كانت بيد الصليبيين[13].

وإزاء ظهور دولة المماليك القوية في منتصف القرن السابع الهجريّ/ الثالث عشر الميلاديّ وتزعُّمها رجال حرب من الطراز الأول؛ كان الصليبيون يعانون الفرقة والتجزئة الكبيرة والحرب الأهلية والنزاعات الداخلية، ودخلوا مرحلة الاحتضار، وفشلت مساعي الغرب الأوربي في توجيه حملة ضدَّ المماليك، كما

فشلت مساعيهم للتحالف مع المغول والدولة البيزنطية ضدَّ المسلمين؛ وهو ما مكَّن المماليك من إزالة مملكة بيت المقدس الصليبية نهائيًّا سنة 690هـ/ 1291م، وإجلاء ما تبقى من الصليبيين عن بلاد الشام(14).

ثانياً. الرحلة الأوربية إلى الأراضي المقدسة في العصور الوسطى:

كانت رحلات الأوربيين إلى فلسطين والشرق العربي من الظواهر الرئيسة في العصور الوسطى، وقد كانت الدوافع أو البواعث إليها متعددة، كالرغبة في الحجِّ إلى الأماكن المقدَّسة، والدافع الاقتصادي، والرغبة في استجلاء سحر الشرق وغموضه ومشاهدته، ورغبة النصارى الأوربيين في الوقوف على أوضاع إخوانهم في الشرق، خاصةً بعد دخولهم تحت حكم القوى الإسلامية، وكذلك كانت الفروسية الأوربية والتبشير بالنصرانية من العوامل التي دفعت بالأوربيين في العصور الوسطى إلى الرحلة نحو الشرق(15).

ومع تعدُّد الدوافع إلا أن الحجَّ إلى الأماكن المقدسة كان هو الباعث الأول والدافع الرئيس لرحلات النصارى آنذاك، فقد كانوا يرون لزامًا عليهم أن يزوروا البلاد التي عاش فيها المسيح – عليه السلام –، ويتبركوا بأرضها، ويشاهدوا آثاره. ولم تلبث الكنيسة في العصور الوسطى أن جعلت الحجَّ جزءًا أساسيًّا من أعمال التوبة وسبيلًا لغفران الخطايا والذنوب(16).

وقد شهد عصر الحروب الصليبية خاصَّةً قدوم موجات كبيرة من الحجاج الأوربيين إلى الشرق، بعد الدعم الرسميّ والكنسيّ المتواصل لهم، فقد قامت الحركة الصليبية على أساس عقديٍّ دينيٍّ، فهي تزعم أن هدفها هو تحرير الأرض المقدسة من المسلمين. وقد وعد البابا أوربان الثاني (1099-1088م) في خطبته التي ألقاها في مجمع كليرمونت بفرنسا سنة 1095م، النصارى في أوربا بغفران الذنوب لمن يشارك في المشروع الصليبيّ.[17]

ومما يدلّ على كثرة أعداد هؤلاء الرحالة أو الحجاج هو كثرة مؤلفاتهم التي دوَّنوها(18). ومع أن السبب الرئيس الذي دفعهم للتدوين هو توثيق رحلاتهم لتكون دليلًا مرشدًا لمن يأتي بعدهم من الحجاج، ووصفًا مصوّرًا لمن لم يستطع الحجَّ إلى الأماكن المقدسة من أبناء الغرب الأوربي(19)، إلا أنها ألقت الضوء في طياتها على كثير من الجوانب السياسية والحضارية لتلك البقعة من العالم في تلك الفترة الزمنية.

ثالثًا. الرحالة بورشارد:

ومن هؤلاء الرحالة موضوع الحديث في هذه الدراسة الرحالة بورشارد أو بوركارد (Burchard of Mount Sion)، الذي اقترن اسمه بجبل صهيون ، بسبب إقامته في هذا الجبل لأكثر من عشر سنوات، وألّف كتاب "وصف الأرض المقدسة"، الذي يعد من أهمّ الكتب التي دوَّنها رحالة العصور الوسطى الأوربيين، إن لم يكن أهمها كلها(20).

وبورشارد هو ألمانيّ من بلدة ماجديبورغ (Magdeburg) ، عاش في القرن الثالث عشر الميلادي، وقد ارتحل إلى الشرق، وزار مملكة قيليقيا، وبلاد الشام، ومصر، ومكث في دير جبل صهيون القريب من بيت المقدس عشر سنوات، وتجوَّل في بلاد الشام، وجاءت كتاباته نتيجة تجاربه الشخصية، وما استمدَّه من معلومات من أهل البلاد من المسلمين والنصارى، ولم يعد إلى الغرب إلا في أواخر عمره. وكان راهبًا من جماعة الدومنيكان، وتاريخ وفاته غير معروف[21]. وفي دراسة قام بها أحد الباحثين على إحدى النسخ من مخطوطة بورشارد – التي فاق عددها مائة نسخة– الموجودة في المكتبة البريطانية في لندن كشف معلومات جديدة عن شخصية بورشارد من خلال النصوص التي وردت في هذه النسخة لم تكن معروفة من قبل؛ فقد استنتج أنه كان شخصية بارزة ولم يكن مجرد حاج عادي ؛ فقد أرسل في مهام دبلوماسية أكثر من مرة، من ذلك إرساله مبعوثًا رسميًّا إلى مصر ، وعلاقته بالملك الأرمني ليون الثالث وكذلك بالبلاط القبرصي، كما كشفت هذه النصوص أن بورشارد كان شخصية مرموقة ويدل على ذلك حضوره احتفالات دينية مع شخصيات صليبية بارزة، وارتباطه بعلاقات مع البطريرك اللاتيني والبطريرك اليوناني بالقدس.[22]

ولأن بورشارد أقام طويلًا في الأرض المقدسة فقد تجوَّل في مختلف مدنها وقراها ودروبها، ووصف بدقة جميع مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها في تلك الفترة، وتطرَّق في رحلته إلى أحداث تاريخية سابقة لعهده، تظهر سعة اطِّلاعه، واعتماده على مصادر متعدِّدة[23]. فمن أمثلة هذه المصادر كتاب تاريخ الكنيسة الذي كتبه يوسابيوس القيصري (Eusebius of Caesarea) (حوالي 265-339م) وكتابات القديس جيروم (St. Jerome) (حوالي 342-420م)، وكتابات المؤرخ اليهودي يوسيفوس (Josephus) (حوالي 37-100م)، وكذلك ما دونه الرحالة السابقون مثل كتاب "تاريخ الشرق" لجاك دي فيتري (Jacques de Vitry) (حوالي 1160/1170- 1240م).[24]

وصف في كتابه الأماكن المقدسة والمناطق والقرى والسهول والقلاع التي زارها بنفسه، سواء كانت من الأراضي التي كانت تحت سيطرة الصليبيين، أو التي أصبحت تحت حكم المماليك، وقسمها إلى أربع مناطق سار بها بنفسه، وذكر ذلك صراحة في رحلته، وأخذ معلوماته من سكانها من النصارى والمسلمين وغيرهم[25]. وكان وصفه التفصيلي للمواقع وخاصة الأماكن المقدسة قد أصبح دليلًا مهمًا ومفيدًا للحجاج الأوربيين الذين كانوا يخططون لزيارة الأراضي المقدسة، أو أولئك الذين أرادوا تخيل وتصور الأماكن الدينية في الأرض المقدسة بعد فقد الصليبيين لها، مما جعل نص بورشارد يصبح شائعًا للغاية في الغرب الأوروبي وأدى إلى ظهور عدد كبير من النسخ والمخطوطات عن رحلته من القرن الرابع عشر وحتى القرن السادس عشر.[26]

وقد أشار بورشارد في أكثر من موضع من كتابه إلى أنه استقى معلوماته من المسلمين[27]؛ وهو ما يعني أنه كان على احتكاك وتواصل مباشر بالمسلمين، فهذا من جانب يضفي على معلوماته شيئًا من

الدقة والمصداقية، خاصَّةً فيما يدوِّنه من معلومات عنهم، ومن جانب آخر يوضِّح وجود علاقة مباشرة بين الجانبين الصليبي والإسلامي في تلك الفترة التي عاش فيها بورشارد في الشرق، وخصوصًا بين الكتاب الغربيين – المؤرخين والرحالة – والمسلمين، وهو أمر لا يكون موجودًا في بدايات الحروب الصليبية، فقد كتب المؤرخون والرحالة في تلك الفترة عن المسلمين والإسلام من خلال معلوماتهم المسبقة التي استقوها من الكنيسة وغيرها من مصادرهم[28]، ولهذا جاءت معلوماتهم عن المسلمين مغلوطة، وبعيدة عن الواقع.

ويُستشفُّ من خلال روايات بورشارد أن هناك محادثات ونقاشات دارت بينه وبين المسلمين فاستمدَّ من خلالها معلومات كثيرة، وقد أبدى بورشارد درايةً بمسميات بعض الأماكن باللغة العربية، فكان يوضِّح المسمَّى عند الصليبيين، ثم يوضح اسمها بالعربية عند المسلمين[29]، ويبدو أن هذه الدراية مصدرها احتكاكه بالمسلمين وتطوافه في بلادهم، كما تعكس ثقافة بورشارد وسعة اطِّلاعه.

ولأنَّ رحلة بورشارد تعد من أهمِّ الرحلات الأوربية إلى الأرض المقدسة زمن الحروب الصليبية، فإن ذلك يجعلها تستحقُّ إفرادها بدراسة خاصة لما تطرَّقت إليه من معلومات عن الإسلام والمسلمين، وتبيان أهم المعلومات التي اشتملت عليها هذه الرحلة، ونقدها وتحليلها.

رابعًا. القرآن الكريم ومعتقدات المسلمين:

أورد بورشارد معلومات عن المسلمين ومعتقداتهم في كتابه، وذكر أنه قرأ ذلك في القرآن الكريم[30]، وهذا تأكيد منه بأنه استقى معلوماته عن المسلمين من مصدرها الأصلي، وهو القرآن الكريم؛ وهو ما لم نعتد عليه في الكتابات الأوربية في بدايات الحروب الصليبية في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي[31].

لقد عاش بورشارد في الفترة التي أطلق عليها ريتشارد سوذرن "حقبة التعقّل"، التي تمتدُّ من منتصف القرن الثاني عشر والقرن الثالث عشر الميلاديين، والتي بدأ فيها المؤرخون والرحالة بالكتابة عن المسلمين بشيء من العقلانية مقارنة بالفترة السابقة لها، التي أطلق عليها اسم "حقبة الجهل"، والتي كانت معلومات كتابها عن الإسلام والمسلمين محض تصوّرات خيالية لديهم[32].

قال بورشارد: "إن القرآن الكريم هو كتاب المسلمين المقدّس، ومصدر شريعتهم، وإن المسلمين يحترمون السيد المسيح عيسى – عليه السلام– وأمه مريم العذراء، وإنهم يقرّون أنه كلمة الله، ولكنهم –أي المسلمين – يقولون إنه ليس ابن الله، ويقرّون بأنه من أعظم الأنبياء، ويعتقدون أنه نفخ من عند الله، وأن العذراء حملت به وهي عذراء". ويضيف: "إن المسلمين لا يعتقدون أن المسيح تعذَّب ودفن، ويفضلون القول إنه رفع إلى السماء". وأضاف بورشارد أن المسلمين يكنّون الاحترام والتبجيل للقديس يوحنا (النبي يحيى عليه السلام)، ويقولون عنه: إنه كان نبيًّا عظيمًا، ويقولون أيضًا: إن محمدًا هو رسول الله، وقد بعثه الله إليهم فقط[33]، وبأنهم يحفظون دساتيره وقوانينه وشرائعه"[34].

وعلى الرغم من الخطأ الذي وقع فيه بورشارد بقوله: إن الرسول محمدًا – صلى الله عليه وسلم – بُعث للمسلمين فقط، إلا أنه أبدى درايةً وفهمًا لبعض جوانب العقيدة الإسلامية، مثل قوله: إن القرآن هو كتاب المسلمين المقدَّس، مصدر الشريعة، وكذلك إيمان المسلمين بالأنبياء والرسل ونظرتهم لعيسى – عليه السلام –، ودقة معلوماته عن الإسلام والمسلمين تؤكد سعة اطلاعه على القرآن الكريم. ولم يوضّح بورشارد بأيّ لغة قرأ القرآن الكريم، ولكن من المرجح أنه اطَّلع على الترجمة اللاتينية للقرآن الكريم التي نُشرت في منتصف القرن الثاني عشر الميلادي في إسبانيا(35).

وفي معرض حديث بورشارد عن الكنائس في الأرض المقدَّسة يقول: "ويوقر المسلمون جميع الكنائس التي أقيمت على شرف مريم العذراء"[36]، ويبدو أن بورشارد قصد بالتوقير هنا احترام أماكن عبادة النصارى وعدم التعدّي عليها(37). وفي التاريخ الإسلامي شواهد كثيرة، وخاصة زمن الفتوحات الإسلامية، على الدعوة والحث على عدم التعرُّض لأماكن عبادة أهل الذمة، وخاصّةً في الأراضي التي فتحت صلحًا(38).

كما أشار بورشارد إلى تعدد الزوجات عند المسلمين، وأن دين الإسلام يبيح لهم ذلك(39)، وذكر أيضًا أن المسلمين لا يشربون النبيذ(40).

وقد ذكر بورشارد مدينة مكة وقال: إنها تقع في الجزيرة العربية وأن محمدًا (صلى الله عليه وسلم) دفن بها. وفي رواية أخرى تحدث فيها بورشارد عن المسجد الإبراهيمي في مدينة الخليل ذكر أن المسلمين يوقرونه أكثر من مكة حيث دفن محمد.[41] وهنا يجانبه الصواب فيما أورده.

خامسًا. الفرق الدينية:

حظيت بعض الفرق والطوائف الدينية التي ظهرت في بلاد المسلمين باهتمام بورشارد، فقد أورد معلومات عنها وعن وأماكن وجودها، فقال عن النصيرية(42): إنهم يسكنون في الجبال حول قلعة عرقة ومدينة طرابلس وحصن الأكراد، ووصفهم "بأنهم شعب همجيٌّ ماكر يكره المسيحيين"(43)، وأن أرضهم مجاورة لأرض الحشَّاشين(44). الذين ذكر فرقتهم، وأبدى معرفة دقيقة ومفصَّلة بهم، فقد ذكر أماكن وجودهم، وقال إنهم يسكنون الجبال خلف طرسوس قرب قلعة المرقب، وإنهم يسيطرون على عدد من القلاع. وذكر أن المناطق الجبلية التي يسكنون فيها ذات طبيعة صعبة، لا يمكن تسلُّقها أو بلوغها، وكان يطلق عليها مسمى "أرض الحشاشين"، وذكر أن أصولهم فارسية، وأن لديهم عددًا كبيرًا من المقاتلين وزعيمهم يدعى "شيخ الجبل"، ويختار لتولّي هذا المنصب حسب جدارته الشخصية ومكانته بين أتباعه، وليس لسنِ، أو وراثةً، كما أن أتباعه مطيعون له حتى الموت، فإذا طلب منهم زعميهم قتل أي أحد كان نفَّذوا ذلك، لأنهم يعتقدون أن جزاءهم الجنة حتى لو قتلوا قبل إتمام الأمر. وذكر بورشارد أن الحشاشين

أدخلوا الرعب في نفوس من يسكنون بالقرب من أماكن وجودهم بسبب عنفهم[45]. لقد كانت جميع هذه المعلومات التي أوردها بورشارد عن الحشاشين صحيحة؛ وتنمُّ عن سعة اطِّلاعه ودقة معلوماته.

ومن المعلومات التي أوردها بورشارد عن الحشاشين قوله أنه قبل عدّة سنوات من تاريخ وصول بورشارد في الشرق رغب الحشاشون في الدخول في طاعة كنيسة روما، وربما قصد بذلك رغبة الحشاشين في التحالف مع الصليبيين؛ فقد أرسلوا سفيرًا منهم إلى عكا، وجرت بينه وبين الصليبيين مفاوضات حول هذا الأمر، ولكن مقتل السفير في طريق عودته على يد الصليبيين حال دون هذا التحالف؛ لأن مقتله جعل الحشاشين لا يثقون بالصليبيين. واعتبر بورشارد فشل هذا التحالف خسارة للكنيسة بأكملها[46].

لم يتخذ الحشاشون موقفًا ثابتًا ومحدَّدًا في علاقتهم بالصليبيين؛ بل كانوا متقلبين فيها، فتارة يحابونهم ضدَّ المسلمين، وتارة أخرى يتحالفون مع المسلمين ضدَّهم؛ فقد تحالفوا مع ريموند أمير أنطاكية ضد نور الدين محمود زنكي، ثم نشب بينهم وبين طائفة فرسان الهيكل الصليبيين قتال وصراع[47].

سادسًا. الجوانب الاجتماعية عند المسلمين:

أورد بورشارد بعض المعلومات عن حياة المسلمين الاجتماعية، فقد تطرَّق إلى نمط حياة بعض المسلمين في بلاد الشام، كالبدو والتركمان الرحل، فقال: إنهم يعتمدون على التنقل والترحال وعدم الاستقرار، وعدم وجود مساكن ثابتة لهم، وبأنهم ينصبون خيامهم حيث المراعي؛ لأنهم خصصوا حياتهم للعناية بالماشية والجمال وإطعامها، وأنهم يملكون أعدادًا كبيرةً منها[48]. ومن الطبيعي أن يخصص هؤلاء البدو حياتهم للاعتناء بها؛ لأن اقتصادهم أساسًا يعتمد عليها.

وأشار بروشارد أيضا إلى ملابسهم – أي البدو والتركمان–، وذكر أنها قمصان لونها أحمر وفوقه عباءة واسعة جدًّا، ويغطون رؤوسهم بقطعة قماش . وقال عن أماكن وجودهم: إنهم منتشرون في سوريا، وأعدادهم كبيرة، كما يقيمون حول نهر الأردن[49]، وأيضًا في المراعي والسهول القريبة من قلعة عرقة وطرسوس[50]، وبالقرب من البحر الميت[51].

كما ذكر بورشارد أن المسلمين يتجمّعون بانتظام طوال فصل الصيف في السهول المحيطة بعين فالي الرائعة (بحيرة رام في الجولان السوري المحتل حاليًّا)؛ لجمال المكان، وكانوا ينصبون خيامهم ذات الألوان المختلفة، وكانوا يأتون من بلاد ما بين النهرين وحماة ودمشق وجنوب بلاد الشام[52].

ووصف بورشارد المسلمين بأنهم: "مضيافون جدًّا وكرماء ولطفاء ممتازون"[53] " ومهذبون ...لقد تلقيت منهم العديد من الأفضال، وإذا قدمت لهم خدمة صغيرة فإنهم يردونها بسخاء كبير" [54]، ووصف البدو والتركمان بأنهم "شجعان في الحرب"[55]. وهنا نراه يتحلَّى بروح الإنصاف والموضوعية، فلم يجد غضاضة في مدح أعدائه المسلمين، كما يتّضح من وصفه للمسلمين بأنهم مضيافون وكرماء ولطفاء

ومهذبون أسخياء أن اتّصاله بالمسلمين لم يكن سطحيًّا، بل كان له علاقة جيدة مع المسلمين جعلته يعرف صفاتهم وأخلاقهم عن قرب.

سابعًا. العلاقة بين المسلمين وأهل الذمة من النصارى الشرقيين:

في معرض حديث بورشارد عن النصارى، وخاصةً السريان – إحدى طوائف النصارى في بلاد الشام – ذكر أنهم لا يحتفظون بأيّ ثقة مع اللاتين، ويقطنون بين المسلمين[56]. ويستشفُّ من ذلك أن السريان واللاتين الذين تجمعهم ديانة واحدة لا يثق بعضهم ببعض، فالسريان لا يتقربون من اللاتين، وبعكس ذلك أبقوا على علاقتهم طيبةً مع المسلمين، وظلوا يعيشون بينهم. ولا عجب في ذلك؛ فالمسلمون حفظوا لأهل الذمة حقوقهم، وعاملوهم بتسامح عظيم، والشواهد على ذلك كثيرة [57].

وأضاف بورشارد أن السريان يشبهون المسلمين في ملابسهم وزيّهم، وأن مظهر الاختلاف الوحيد هو أن السرياني يضع حزامًا من الصوف على وسطه[58]. فبعد أن أصبح العرب هم سادة البلاد المفتوحة، وأخذوا بحظٍّ وافر من التمدُّن، أغرى ذلك الشعوب الخاضعة لهم في الاقتداء والتشبّه بهم في ملابسهم[59]. وأما لبس الحزام الذي أشار إليه الرحالة فهو من قواعد الملبس التي وجب الالتزام بها، وكان الغرض منها التمييز بين المسلمين والنصارى لتحديد الهوية[60].

وفي رواية أخرى يمدُّنا بورشارد بتصور عن حال النصارى تحت الحكم الإسلامي في إحدى القرى القريبة من نابلس بفلسطين، فقد ذكر أن جميع سكان هذه القرية من النصارى، وكانوا يهتمون بزراعة كروم العنب، وقد منحوا حقَّ الإقامة من السلطان [المملوكيّ]، الذي جعلهم تحت رعايته، وأنه حصل على عائدات عظيمة من زراعتهم للكروم[61].

تعكس هذه الرواية أحوال نصارى الشام في ظلِّ العصر المملوكيّ، فقد منحتهم الدولة الإسلامية حقَّ المواطنة والأمان والرعاية مقابل بعض الالتزامات المالية، مثل دفع الخراج[62] هنا في هذه الرواية. وهذا امتداد لما تم منذ الفتح الإسلامي في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، فقد عاش النصارى باعتبارهم أهل ذمة، وتمتّعوا بحريّاتهم داخل الإطار الذي حددته الدولة الإسلامية، التي تجعل حماية الأقليات من أهل الذمة داخل دار السلم واجبًا على المسلمين، مقابل الجزية التي كانت أشبه بضريبة الدفاع في المصطلح المعاصر[63].

وقد ذكر بورشارد في رحلته أن النصارى قد دفعوا الجزية للمسلمين، وعلَّل سبب دفعهم الجزية بـ"أنهم غير مدرَّبين كثيرًا، ولم يكونوا قيد الاستعمال الحربيّ، وعندما يهاجمون من قبل المسلمين أو الأتراك... فإن المسيحيين يستسلمون لهم، وينشدون تأمين الأمن والسلام والهدوء مقابل دفع الجزية"[64].

وتعليل بورشارد هنا مخالف للدقة والصواب؛ فالمسلمون عندما فتحوا الأمصار خيَّروا أهل البلاد المفتوحة بين الإسلام والبقاء على دينهم، فمن استجاب منهم طبقت عليه أحكام المسلمين، ومن رفض

فرضت عليه الجزية[65]، ومن ثمَّ كان قبولهم بالجزية اختيارًا وليس إجبارًا. وقد رحّب أهل الذمة بالمسلمين في الأمصار المفتوحة، وأَمِلُوا بقدومهم في الخلاص من الانقسامات الدينية والمذهبية، والخلاص من ظلم حكامهم، والإعفاء من الخدمة العسكرية، والتمتع بالحرية الدينية التي كفلها لهم الإسلام مقابل دفع الجزية، فعاملهم المسلمون بتسامح عظيم باعتبارهم أهل كتاب؛ ولذا دخل في الإسلام جموع هائلة منهم[66].

وفي زيارته لمصر أشار بورشارد إلى أنه يوجد بها عدد كبير من المسيحيين وعدد كبير من الكنائس في القاهرة والمدن الأخرى والمناطق الريفية، وأن المسلمين يشاركون المسيحيين في احتفالاتهم بعيد القديس يوحنا المعمدان،[67] وتدل هذه الرواية على تسامح المسلمين مع النصارى في مصر. ولكن في رواية أخرى يناقض بورشارد نفسه إذ يقول: إن كثيرًا من المسيحيين يستشهدون بسبب تعذيبهم واضطهادهم من قبل المسلمين بسبب دينهم.[68] ويبدو أنه يهدف من ذلك إلى إثارة الغرب الأوربي ضد المسلمين والمماليك خصوصًا.

ثامنًا. محاولات بورشارد إثارة الغرب الأوربي ضدَّ المسلمين في رحلته:

على الرغم من موضوعية بورشارد التي أبداها تجاه المسلمين في أكثر من موضع في رحلته إلا أنه لم يتخلَّص تمامًا من الروح الصليبية وروح العداء للمسلمين، وتجلَّى ذلك في نعته للمسلمين بنعوت غير مناسبة، مثل السراقنة[69] (Saracens)، وهي لفظة فيها نوع من التحقير والازدراء للعرب[70]، اعتاد المؤرخون والرحالة الصليبيون نعت المسلمين بها.

دعا بورشارد المسيحيين صراحة إلى محاربة المسلمين – الذين نعتهم بالأعداء –، وإلى انتزاع الأراضي المقدّسة منهم، واتهمهم – أي المسيحيين – بالتردّد في ذلك[71]، وادَّعى كذلك أن المسلمين يذبحون الحجاج المسيحيين عند أحد المواضع بالقرب من مدينة صور، وأنهم حوَّلوا بعض الكنائس إلى جوامع؛ لإثارة الغربيين الأوربيين وشحذ هممهم ضدَّ المسلمين[72].

فمن غير المستغرب أن تصدر نغمة التحريض هذه من بورشارد؛ فهو راهب من جماعة الفرسان الدومنيكان، التي أخذت على عاتقها الدعوة للحرب الصليبية ودعمها[73]، وخاصة أن بورشارد كان معاصرًا لفترة تراجع الوجود الصليبيّ في الشرق، فيما كانت دولة المماليك في أوج عظمتها، وكان سلاطينها يتصدُّون لبقايا الوجود الصليبيّ في بلاد الشام في عهد السلطانين الظاهر بيبرس (658-676هـ/ 1260-1277م)، والمنصور سيف الدين قلاوون (678 - 689هـ/ 1279-1290م)[74].

تاسعًا. الجوانب العسكرية عند المسلمين:

ذكر بورشارد في حديثه عن المسلمين أن في كل مدينة مركزًا عسكريًّا لتدريب الشباب[75]، وهذه الملاحظة التي أوردها بورشارد تعكس مدى اهتمام الدولة المملوكية بالجيش وبالجانب العسكري. فلا عجب

في ذلك؛ فقد واكب قيام دولتهم الفتية ابتلاء العالم الإسلامي بخطرين عظيمين في وقت واحد، أولهما: الخطر المغولي القادم من الشرق، والذي يحتِّم عليها إنقاذ ما تبقى من العالم الإسلامي بعد سقوط بغداد، وثانيهما: بقايا الوجود الصليبي الجاثم في سواحل بلاد الشام، والذي وجب تخليص العالم الإسلامي منه، وتطلَّب هذا من المماليك استعدادًا كبيرًا واهتمامًا بالجيش وأفراده وتسليحهم[76].

وفي أثناء حديث بورشارد عن البدو والتركمان أشاد بمهارتهم في الحرب وبشجاعتهم، وأشار إلى نوع الأسلحة التي يستخدمها هؤلاء، وهي: السيوف، والرماح، والسهام[77]. ومن المعلومات التي تخصُّ تاريخ المسلمين العسكري ذكر بورشارد –في أثناء حديثه عن السهل القريب من عين جالوت– أن معارك كبيرة دارت في هذا السهل عبر التاريخ، وذكر آخرها، وهي معركة دارت فيه بين المسلمين والتتار[78]، ويقصد بها معركة عين جالوت المشهورة التي دارت بين المسلمين والمغول سنة 658هـ/ 1260م، وهي من المعارك الفاصلة في التاريخ، فقد أنقذت مصر والشام من خطر المغول[79].

كان وقت وقوع معركة عين جالوت غير بعيد عن قدوم بورشارد إلى الشرق، الذي رُجِّح أنه أقام في الشرق بين عامي 1275– 1285م؛ وهو ما يعني أن صدى هذه المعركة ما زال يتردَّدُ، ولكن بورشارد لم يعطِ تفاصيل أكثر عن هذه المعركة.

وفي رواية يستوحى منها قوة المسلمين العسكرية يقول بورشارد في حديثه عن ممر نهر الكلب شمال بيروت: إنه لا يمكن المرور منه بسلام، بسبب وجود رجال من المسلمين يسيطرون بإحكام على هذا الممر، "والذين بإمكانهم منع كل الناس من المرور من هناك"[80].

أنشأ الصليبيون في بلاد الشام كثيرًا من القلاع في أهمِّ المواقع الإستراتيجية، وكان هدفهم منها هو تأمين المناطق التي شيّدت بها، وتوفير الدفاع اللازم للمدن والقرى التي خضعت لسيادتهم[81]، وخلال مشاهدات بورشارد أشار إلى أن بعض هذه القلاع كان تابعًا لجماعة الفرسان التيوتون[82]، ولكنها الآن (زمن بورشارد) مدمّرة تمامًا، مثل قلعة منتفرات (قلعة القرين)، وكذلك قلعة جدين[83]؛ ومما لا شكّ فيه أن هذه القلاع الصليبية قد دُمِّرت على يد المسلمين في عصر المماليك، في أثناء حروبهم مع الصليبيين لاسترداد أملاك المسلمين منهم[84].

ومن إنجازات المسلمين العسكرية التي ذكرها بورشارد في رحلته إسقاط المسلمين قلعةَ صفد سنة 664هـ/ 1266م، وقال عنها: إنها من أمنع القلاع وأجملها، وكانت من أملاك جماعة الفرسان الداوية، الذين استفادوا من هذه القلعة كثيرًا، وقال: إن المسلمين استولوا عليها، ومما سبّب حرجًا للنصارى أن السلطان الظاهر بيبرس بعد سيطرته عليها تمكَّن من السيطرة على جميع بلاد الجليل[85]. وأضاف أن المسلمين استولوا على هذه القلعة بسهولة. والحقيقة أن بورشارد جانبه الصواب هنا؛ فالرواية الإسلامية تذكر أن السلطان الظاهر بيبرس بذل جهودًا كبيرةً واستخدم أسلحة كثيرة لإسقاط هذه القلعة[86].

ومن شواهد تفوّق المسلمين عسكريًّا على الصليبيين، التي ذكرها بورشارد في رحلته هو سيطرة المسلمين على عدد من الحصون والقلاع التي كانت ضمن أملاك الصليبيين سابقًا، مثل حصن الملك (King`s Castle)، شرقي عكا، الذي شيَّده الصليبيون، وكان من أملاك جماعة الفرسان التيوتون، وكذلك قلعة الشوبك (مونتريال)، التي شيّدها الملك الصليبي بلدوين الأول (494-512هـ/ 1101-1118م)[87].

ومن الجهود التي بذلها المسلمون لمقاومة الوجود الصليبيّ، وكان بورشارد شاهد عيان عليها هو إقامة المسلمين حامية عسكرية بالقرب من قلعة عثليث الصليبية (قلعة الحجاج) لمراقبتها[88]، وهي القلعة التي شيَّدها فرسان الداوية جنوب غرب عكا سنة 615هـ/ 1218م، بمساعدة الفرسان التيوتون وعدد من الحجاج المسيحيين، وكانت هي آخر المعاقل الصليبية التي سقطت بيد المسلمين لاحقًا[89].

عاشرًا. الجوانب الاقتصادية عند المسلمين:

يعد الحديث عن الجوانب الاقتصادية في الأراضي المقدسة، في كتابات الرحالة الأوربيين في فترة الحروب الصليبية، حلقة من سلسلة الدعاية والترويج الإعلامي للحروب الصليبية في الغرب الأوربي، فرسموا صورة إيجابية عن الأوضاع الاقتصادية للمنطقة، تجسِّد الصورة النمطية في أذهان المسيحيين الغربيين عن الأرض التي تدرُّ لبنًا وعسلًا؛ وفي ذلك دعوة لهم وتشجيع على الهجرة والاستقرار في الأرض التي يعدُّونها أرضًا مسيحيةً اغتصبها المسلمون[90].

وبورشارد كان واحدًا من هؤلاء الرحالة، فقد أورد روايات عن الجوانب الاقتصادية يتضح أن المقصود منها هو الدعاية الاقتصادية للأرض المقدسة، فقد قال عنها: "وتفيض الأرض بالحليب والعسل"[91].

ويقول في إحدى رواياته عن أحد الحصون شرقيّ مدينة عكا: "يقع حصن الملك في وادٍ محاطٍ بجميع الأشياء الحسنة والفاكهة النادرة التي لا توجد في غير هذا المكان، وكان هذا الحصن من أملاك جماعة الفرسان التيوتون، ولكنه الآن أصبح بأيدي المسلمين"[92]. وهنا في هذه الرواية دعوة غير مباشرة من بورشارد للمسيحيين لاسترداد هذا الحصن من المسلمين، من خلال حديثه عن مدى خيرات هذا المكان، والتذكير بأنه كان يومًا من أملاك الصليبيين، ولكنه أصبح الآن بيد المسلمين.

وفي رواية أخرى عن سهل الجليل تتضح نبرة بورشارد الدعائية بقوله: "السهل يمتاز في بعض أجزائه بخصوبة مفرطة، وخاصة في زراعة القمح واستخراج الزيت والنبيذ. وهو يزخر بجميع الأشياء الجيّدة الموجودة في العالم، ولا أعتقد بأنني رأيت أرضًا أفضل من أرضه فقط إذا لم تمنع عيوبنا وخطايانا من كونها حرثت من قبل المسيحيين"[93].

ويؤكّد في رواية أخرى أيضًا كثرة خيرات الأرض المقدسة مخاطبًا الغرب الأوربي، بقوله: "وكحقيقة ثابتة يجب أن تعرفوا أن جميع الأراضي المقدسة تعتبر أفضل من جميع الأراضي حتى يومنا هذا، وإن يكن بعض الذين لم يهتموا بها يقولون عكس ذلك تمامًا. والأراضي المقدسة خصبة وغنية جدًّا بالقمح الذي يزرع وينمو دون أي جهد، كما تجود الأرض بالعديد من الأعشاب الطبية، أو العطرية: الشومر، والمريمية، والسذاب، والورود...، وينمو القطن...، ويزرع قصب السكر هناك أيضًا"[94]. ويقول أيضا: " الحبوب هناك جيدة جدًّا، ويصنع منها خبز لذيذ جدًّا خاصة في القدس... لدرجة أنني لم أتذوق أفضل منه".[95]

وذكر بورشارد أن أشجار العنب كثيرة جدًّا في الأرض المقدسة، وأنه يتم الحصول على ثلاث غلات سنويًّا منه، ويكثر فيها الرمان والتين والعسل والزيت والفواكه والخضروات بجميع أنواعها[96].

ومن النباتات الموجودة في بلاد الشام وانبهر بها بورشارد فاكهة الموز، ومن وصفه وحديثه المفصَّل عنها يبدو أنها غير موجودة في الغرب الأوربي؛ فقد وصفها بورشارد وصفًا دقيقًا، بدءًا بحديثه عن الشجرة ونموّها وطعم ثمرها الذي قال عنه إن مذاقه مثل "الزبدة والعسل"[97].

وضمن حديثه عن خيرات الأرض المقدسة تطرَّق بورشارد إلى بعض الصناعات التي كان يقوم بها المسلمون وغيرهم وخاصة صناعات الأطعمة، كالمخللات التي ذكر أنها تنتج من أشجار الحمضيات، وتؤكل هذه المخللات مع السمك والدجاج والأطعمة الأخرى، وتجعل طعم الطعام لذيذًا جدًّا[98]. كما تحدَّث بورشارد عن صناعة السكر، ووصفها وصفًا دقيقًا، فتحدَّث عن زراعة القصب ابتداء، ثم عصره وغليه حتى الحصول على السكر بشكله النهائيّ[99].

كما كان لخيرات المدن حيّزٌ من حديث بورشارد عن الجوانب الاقتصادية؛ فقد قال عن مدينة سبسطية[100]: إنها محاطة بالبساتين والحدائق، وفيها جميع الأشياء الجيّدة التي يحتاج إليها الإنسان في هذا العالم[101]، وعن مدينة بيسان يقول: "وهي مكان مزوَّدٌ بجميع أسباب الترف الاستثنائية"[102].

كما حظيت الثروة الحيوانية باهتمام بورشارد: "وهناك توجد بوفرة الخنازير البرية، وإناث الظبي، والأرانب البرية، والجمل، والسمّان، التي من الرائع رؤيتها...، وهناك أعداد غير محدودة من الجمال...، والمهر، والجواميس، وباختصار يوجد هناك كل الأشياء الجيدة في العالم"[103]. واستخدام بورشارد في هذه الرواية اسم الإشارة "هناك"، الذي يستخدم للإشارة إلى المكان البعيد هو إشارة منه إلى خيرات الأماكن المقدسة؛ ويتَّضح منها أنه يخاطب فيها الأوربيين الذي سوف يقرؤون رحلته في الغرب، مصوّرًا لهم الخيرات هناك في الشرق، وفيها دعوة لهم للقدوم إلى الشرق عن طريق ترغيبهم في خيرات الشرق.

لقد كان لدى الصليبيين –في الفترة التي كتب فيها بورشارد رحلته– مشكلة تتمثَّلُ في تدني أعدادهم في جميع الإمارات الباقية لهم في الشرق، وكانوا بحاجة إلى القوة البشرية في تلك الفترة[104]، ولا

شكَّ أن بورشارد على معرفة بمشكلة الصليبيين هذه، وهذا ما دفعه إلى الحديث عن خيرات الأرض المقدسة؛ لحثِّ الغربيين على القدوم إلى الشرق.

أما مصر فقد حظي اقتصادها ومواردها باهتمام بورشارد ؛ حيث ذكر أهم المحاصيل التي تشتهر بها مثل: القمح، والشعير، والفول، والعدس، والكتان ، وعن الصناعة ذكر أن مصر تشتهر بصناعة الأقمشة والملابس من الكتان والتي تنتج بكميات كبيرة وتصدر إلى الخارج، وازدهرت فيها أيضا صناعة الفخار والزجاج خاصة في الإسكندرية التي تمثل مع القاهرة أهم مدينتين تجاريتين في مصر، حيث يلتقي بهما التجار من أنحاء العالم للتجارة وتبادل السلع كالتوابل والعاج والذهب والبخور، وأضاف أنه في مصر تفرض ضرائب على التجارة والزراعة.[105] كما أشار بورشارد إلى افتقار مصر إلى بعض الموارد الاقتصادية مثل: بعض أنواع الفواكه، والمعادن، والعسل، والأقمشة الصوفية، والأخشاب الخاصة بالبناء وصناعة السفن ، وذكر أن مصر تعتمد على استيراد هذه المواد من مناطق أخرى وخاصة على التجار من المدن الأوروبية من البندقية وجنوة ومرسيليا ومسينا ، وأنها من دون ذلك لا يمكنها البقاء أو الصمود.[106] ويبدو أن بورشارد هنا يعطي تصورًا للأوربيين عن جوانب الضعف في اقتصاد مصر .

الخاتمة:

تُعدُّ رحلة بورشارد واحدة من رحلات كثيرة قام بها الأوربيون في العصور الوسطى إلى الشرق، فرحلات تلك الفترة تستحقُّ الدراسة وإلقاء الضوء عليها، خاصة أنها كتبت في فترة معقّدة من فترات علاقة الشرق بالغرب.

وقد كشفت الدراسة عن أن بورشارد تطرَّق لعدَّةِ جوانب عن المسلمين في رحلته؛ فقد تحدَّث عن القرآن الكريم، وذكر أنه مصدر شريعة المسلمين، وعن إيمان المسلمين وعقيدتهم، وعن بعض الفرق الدينية، وعن أخلاق المسلمين وصفاتهم، وتحدَّث عن بعض فئات المجتمع الإسلامي ونمط حياتهم، وعن علاقة المسلمين بالنصارى الشرقيين، كما عرج بورشارد على الجوانب العسكرية الخاصة بالمسلمين، وكذلك حظيت الجوانب الاقتصادية بنصيب وافر فيما دوَّنه بورشارد عن أراضي المسلمين وخيراتها.

كانت تلك المعلومات التي قدَّمها بورشارد عن الإسلام والمسلمين في أغلبها معلومات دقيقة وصحيحة؛ وهو ما يعكس موضوعية بورشارد وإنصافه.

عكست رحلة بورشارد العقلية الأوربية في القرن الثالث عشر الميلادي، التي بدأت تنظر بنوع من العقل والمنطق للآخر (المسلمين) مقارنة بالعقلية الأوربية السابقة التي مثَّلها المؤرخون والرحالة في أواخر القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين.

أمكن استنباط دوافع بورشارد من خلال ما دوَّنه من معلومات عن المسلمين في رحلته، فمن خلال تقديمه معلومات دقيقة وصحيحة عن عقيدة المسلمين وعن صفاتهم وأخلاقهم كان يبتغي تقديم

المعرفة والمعلومة الصحيحة عن المسلمين للغرب الأوربي، ويمكن اعتبار ذلك بدايات الاستشراق المنصف عن المسلمين.

أما حديث بورشارد عن الجانب الاقتصادي وعن خيرات الشرق فيمكن القول: إن دافعه هو ترغيب الغرب الأوربي في الأرض المقدَّسة وخيراتها، وحثهم بطريقة غير مباشرة على القدوم إلى الشرق، وخاصة في تلك الفترة التي كانت تشهد تراجع الوجود الصليبي في بلاد الشام.

حواشي البحث:

•أستاذ التاريخ الوسيط المساعد- كلية الآداب والفنون.

(1) فيتلوس: وصف الأراضي المقدسة في فلسطين، ترجمة: سعيد البيشاوي وفؤاد دويكات، عمان، (د.ن.)، 2011م، مقدمة الترجمة العربية، ص5.

(2) عمران، محمود سعيد: معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1986م، ص3-27.

(3) عمران، محمود سعيد: تاريخ الحروب الصليبية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2000م، ص15.

(4) عمران: تاريخ الحروب الصليبية، ص17.

(5) عوض، محمد مؤنس: الرحالة الأوروبيون في مملكة بيت المقدس الصليبية، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1992م، ص27، 28.

(6) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ترجمة: سعيد البيشاوي، عمان، دار الشروق، 1995م، المقدمة، ص18.

(7) عاشور، سعيد عبد الفتاح: مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، بيروت، دار النهضة العربية، (د.ت.)، ص351.

(8) أبو المحاسن، جمال الدين يوسف: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة، (د.ت.)، ج7، ص79-81.

(9) العريني، السيد الباز: المغول، بيروت، دار النهضة العربية، 1981م، ص260-264.

(10) ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن بن عبدالكريم الجزري: الكامل في التاريخ، بيروت، (د.ن.)، 2005م، ج2، ص2376.

(11) الجنزوري، علية عبد السميع: إمارة الرها الصليبية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2001م، ص71.

(12) عمران: تاريخ الحروب الصليبية، ص327- 328.

(13) أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل محمد بن عمر: المختصر في أخبار البشر، القاهرة، المطبعة الحسينية، (د.ت.)، ج4، ص12-26.

(14) باركر، آرنست: الحروب الصليبية، ترجمة: السيد الباز العريني، بيروت، دار النهضة العربية، 1967م، ص131، 132؛ كروسيه، رنيه: الحروب الصليبية صراع الشرق والغرب، ترجمة: أحمد أيبش، دمشق، دار قتيبة، 2004م، ص77-82.

(15) عوض: الرحالة الأوروبيون، ص16، 17؛ زيادة، نقولا: الرحالة المسلمون والأوروبيون إلى الشرق العربي في العصور الوسطى، بيروت، الدار العربية للموسوعات، 2010م، ص47، 48.

(16) زيادة: الرحالة المسلمون والأوروبيون، ص 48.

(17) عوض: الرحالة الأوروبيون، ص27، 28؛ فيتلوس: وصف الأراضي المقدسة، ص4.

(18) عوض: الرحالة الأوروبيون، ص27، 28؛ فيتلوس: وصف الأراضي المقدسة، ص4.

(19) الراهب، دانيال: وصف الأماكن المقدسة في فلسطين، ترجمة: سعيد البيشاوي، داود أبو هدبة، عمان، دار الشروق، 2003م، ص18.

(20) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، المقدمة، ص11؛

Grabois, Aryeh, "Burchard of mount Zion", in: *The Crusades an Encyclopedia*, ed. Alan V. Murray, V1, California, 2006, p184.

(21) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص16، 17؛ زيادة: الرحالة المسلمون والأوروبيون، ص125؛

Mylod, Elizabeth J., *Latin Christian Pilgrimage in the Holy Land, 1187-1291*, unpublished Ph.D. Thesis, university of Leeds, 2013, p.15.

الدومنيكان: يعرف النظام أيضًا باسم "جماعة الإخوة الواعظين"، مؤسس النظام هو دومنيك جوزمان عام 1217م، في فترة الحملات البابوية ضدّ الألبيجنسيين، ويعد هذا النظام من أهم المجموعات الصليبية وكان موثوقًا به من البابوية للقيام بالوعظ والتبشير والدعوة لدعم الحرب الصليبية، في القرن الثالث عشر منح الدومنيكان مسؤولية تجنيد حملة صليبية وتنظيمها. للمزيد انظر:

Maier, Christoph T., *"Dominican Order"*, in: *The Crusades an Encyclopedia*, ed. Alan V. Murray, V1, California, 2006, p.362.

(22) Rubin, Jonathan, "Burchard of Mount Sion's Descriptio Terrae Sanctae: A Newly Discovered Extended Version", *Crusades* 13, 2014, pp.173-180.

(23) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص11-14.

(24) أحمد عز العرب أحمد سليمان، "بلاد الشام من خلال كتابات الرحالة الألماني بوركهارد من جبل صهيون"، المجلة العلمية لكلية الآداب، جامعة أسيوط، ع35، 2010م، ص 160.

(25) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص31، 32.

Grabois, Aryeh, "Christan Pilgrims in The Thirteenth Century and The Latin Kingdom of Jerusalem Burchard of Mount Sion", in: *Outremer Studies in The History of the Crusading Kingdom of Jerusalem*, ed. B.Z. Kedar, H.E. Mayer, R.C. Smail, Jerusalem,1982, p.285.

(26) Ingrid Baumgartner & Eva Ferro, "The Holy Land Geography as Emotional Experience. Burchard of Mount Sion's Text and the Movable Map", in: *Geography and Religious Knowledge in the Medieval World*, ed. Christoph Mauntel, De Gruyter, 2021, p252; Ingrid Baumgartner, "Burchard of Mount Sion and the Holy Land", *Peregrinations: Journal of Medieval Art and Architecture* 4/1, 2013, pp.7-16.

(27) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص31، 54، 117، 118.

(28) للمزيد عن الكتابات الأوربية في بدايات الحرب الصليبية انظر: توديبود، بطرس: تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ترجمة: حسين عطية، الإسكندرية، (د.ن.)، 1999م؛ الشارتري، فوشيه: تاريخ الحملة إلى بيت المقدس، ترجمة: قاسم عبد قاسم، الكويت، (د.ن.)، 1993م؛ آجيل، ريموند: تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ترجمة: حسين محمد عطية، الإسكندرية، (د.ن.)، 1989م.

(29) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص61، 68، 107، 117، 118.

(30) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص104.

(31) انظر حاشية 25.

(32) سوذرن، ريتشارد: صورة الإسلام في أوروبا في القرون الوسطى، ترجمة: رضوان السيد، بيروت، دار المدار الإسلامي، 2006م، ص 69، 79.

(33) الرسول محمد – صلى الله عليه وسلم – قد أرسل إلى الناس كافةً. قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ (سورة سبأ، الآية 28).

(34) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص104، 172.

(35) عوض، محمد مؤنس: "المستشرقون وترجمة القرآن الكريم"، مجلة وقائع تاريخية، ع36، (يناير 2022م)، ص203.

(36) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص 154.

(37) صان الإسلام لأهل الكتاب معابدهم. قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ* الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (سورة الحج: الآيتان 39، 40].

(38) الخربوطلي، علي حسن: الإسلام وأهل الذمة، القاهرة، (د.ن.)، 1969م، ص78، 104.

(39) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص172، 173.

(40) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص170.

(41) Burchard of Mount Sion, OP: *Descriptio Terrae Sanctae*, ed. & trans. John R. Bartlett. Oxford: Oxford University Press, 2019, pp. 12, 165.

(42) النصيرية: طائفة من الطوائف الباطنية، يقيم غالبية أفرادها في سوريا بالجبال المعروفة باسمهم، شرق اللاذقية الممتدة من طوروس شمالًا حتى سلسلة جبال لبنان جنوبًا. للمزيد عنها انظر: الحلبي، سليمان: طائفة النصيرية تاريخها وعقائدها، الكويت، الدرر السلفية، 1984م، ص33.

(43) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص55.

(44) الحشاشون: طائفة إسماعيلية نزارية، تدعو إلى إمامة نزار بن المستنصر بالله العبيدي ومن جاء من نسله. مؤسسها هو الحسن بن الصباح في قلعة ألموت في فارس والتي اتَّخذها مركزًا لنشر دعوته، وانتقل عدد من دعاتهم إلى بلاد الشام، وأصبح لهم نشاطٌ فيها في فترة الصراع الإسلامي مع الصليبيين، وقد عرف عن هذه الطائفة احتراف القتل والاغتيال لأهداف دينية وسياسية متعصبة، وقد دخلت كلمة "الحشاشين" (Assassin) إلى اللغات الأوربية بمعنى "القتل خلسة أو غدرًا، أو بمعنى القاتل المحترف المأجور. الجهني، مانع حماد: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الرياض، دار الندوة العالمية، 1418هـ، م1، ص403-405.

(45) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص57، 174، 175.

(46) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص175.

(47) الخشت، محمد عثمان: حركة الحشاشين، القاهرة، مكتبة ابن سينا، 1988م، ص140.

(48) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص174.

(49) بروشارد: وصف الأرض المقدسة، ص174.

(50) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص54، 55.

(51) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص117.

(52) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص74.

(53) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص173.

(54) Burchard of Mount Sion, OP: *Descriptio Terrae Sanctae*, p.193.

(55) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص174.

(56) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص173.

(57) انظر في ذلك: الخربوطلي: الإسلام وأهل الذمة، ص 65، 66.

(58) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص173.

(59) ترتون، أ.س: أهل الذمة في الإسلام، ترجمة: حسن حبشي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994م، ص128.

(60) ترتون: أهل الذمة في الإسلام، ص127.

(61) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص156.

(62) الخراج: ما يوضع على الأرض التي فتحت عنوةً ثم تركت بأيدي أصحابها. انظر: القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم: كتاب الخراج، تونس، دار بوسلامة، (د.ت.)، ص28.

(63) قاسم، قاسم عبده: "بعض مظاهر الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية"، مجلة عالم الفكر، م22، ع2، ص372.

(64) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص176.

(65) الخربوطلي: الإسلام وأهل الذمة، ص65.

(66) الخربوطلي: الإسلام وأهل الذمة، ص66.

(67) Burchard of Mount Sion, OP: *Descriptio Terrae Sanctae*, p.223; Rubin, Jonathan, "A Missing Link in European Travel Literature: Burchard of Mount Sion's Description of Egypt", *Mediterranea. International Journal on Transfer of Knowledge* 3, 2018, p.88

(68) Rubin, Jonathan, "Burchard of Mount Sion's Descriptio Terrae Sanctae: A Newly Discovered Extended Version", *Crusades* 13, 2014, p.184.

(69) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص31، 81، 117.

(70) عباس، إحسان: تاريخ بلاد الشام من ما قبل الإسلام حتى بداية العصر الأموي، عمان، (د.ن.)، 1990م، ص57. السراقنة هو أحد المسميات التي أطلقها الأوروبيون على المسلمين. وقد اختلف الباحثون الغربيون حول دلالته؛ فاقترح البعض أنه اشتق من الكلمتين العربيتين "الشرق" و"الشرقيين". واتجه البعض الأخر إلى أنه مشتق من اسم السيدة سارة زوجة النبي إبراهيم عليه السلام؛ ففي القرن الثامن ذكر يوحنا الدمشقي أنه مشتق من الاسم "سارة" والصفة "kenos" بمعنى "فارغ"، وبالتالي فقد أطلق على أولئك الذين "غادرتهم سارة وهم خاليين الوفاض". وفي القرن الخامس عشر الميلادي ذكر المؤرخ البيزنطي جورجيوس فرانتزيس أن هذا الاسم أُطلق على العرب لأن "سارة حرمتهم من إرثها، ولفظتهم وهم خاليين الوفاض". ويذكر عبد العزيز رمضان أن هؤلاء الباحثين لم ينتبهوا إلى التفسير الذي قدمته المصادر العربية؛ فابن الأثير يذكر: "كانت الروم تسمي العرب سارقيوس يعني عبيد سارة بسبب هاجر أم إسماعيل". ويذكر المسعودي أن الإمبراطور البيزنطي نقفور الأول "أنكر على الروم تسميته العرب ساراقينوس، تفسير ذلك: عبيد سارة طعنا منهم على

هاجر وابنها إسماعيل، وآنها كانت آمة سارة، وقال: تسميتهم عبيد سارة كذب". رمضان، عبد العزيز: "سياسة بيزنطة التنصيرية تجاه العناصر العربية المسلمة (القرون 7-11م)"، مجلة وقائع تاريخية، مركز البحوث والدراسات التاريخية بجامعة القاهرة، ع7، 2007م، ص150، حاشية 119.

(71) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص30.

(72) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص 46، 104.

(73) Maier: *Dominican Order*, p.362.

(74) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، المقدمة، ص11.

(75) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص173.

(76) الغامدي، عبد الله سعيد: جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين في النصف الثاني من القرن السابع الهجري، مكة المكرمة، (د.ن.)، 1990م، ص312.

(77) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص174.

(78) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص101.

(79) عاشور: مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، ص186.

(80) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص50.

(81) عوض، محمد مؤنس: التنظيمات الدينية الحربية في مملكة بيت المقدس اللاتينية، القرنين 6-7هـ/ 12-13م، عمان، دار الشروق، 2004م، ص86.

(82) التيوتون: هيئة من التنظيمات الدينية العسكرية التي ظهرت في بلاد الشام في فترة الحروب الصليبية أواخر القرن السادس الهجريّ/ الثاني عشر الميلاديّ، وقد قامت منذ تكوينها على أساس قوميّ، أي ارتبطت بالعنصر التيوتوني الألمانيّ، وحظيت بالموافقة البابوية عليها سنة 595هـ/ 1198م، وأيّدتها في تقديم الخدمات للحجاج الألمان ودعم الوجود اللاتيني في الشرق، وأصبح لتيوتون أملاك في بلاد الشام نتيجة للهبات والعطايا، منها عدّة قلاع وحصون. للمزيد انظر: عوض: التنظيمات الدينية الحربية في مملكة بيت المقدس اللاتينية، ص42-47.

(83) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص58، 67.

(84) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت845هـ): السلوك لمعرفة دول الملوك، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، 1936، ج1، ص638، 748.

(85) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص69.

(86) ابن عبد الظاهر، محيي الدين: الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، الرياض، (د.ن.)، 1976م، ص254- 262.

(87) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص67، 116.

(88) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص163.

(89) عوض: التنظيمات الدينية الحربية، ص89.

(90) عبد الرحيم، رائد مصطفى: "وسائل الدعاية الصليبية"، مجلة جامعة الأزهر بغزة، 2010، م13، ع1، ص222.

(91) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص171.

(92) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص67.

(93) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص98.

(94) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص167، 168.

(95) Burchard of Mount Sion, OP: *Descriptio Terrae Sanctae*, p.189.

(96) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص170، 171.

(97) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص169.

(98) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص169.

(99) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص168.

(100) سبسطية: بلدة من نواحي فلسطين قريبة من بيت المقدس. انظر: الحموي، ياقوت: معجم البلدان، بيروت، دار صادر، 1977م، ج3، ص184.

(101) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص107.

(102) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص100.

(103) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص171.

(104) فيليبس، جوناثان: الشرق اللاتيني 1098-1291، ضمن كتاب: تاريخ أكسفورد للحروب الصليبية، ترجمة: قاسم عبده قاسم، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2007م، ص205.

(105) Rubin, Jonathan, "A Missing Link in European Travel Literature", p.83.

(106) Rubin, Jonathan, "Burchard of Mount Sion", pp.184, 185.